

عالي الهمّة..
يا ابن الإسلام
أنت يوسف هذه الأحلام

عالي الهمّة.. يا ابن الإسلام أنت يوسف هذه الأحلام

﴿أخي:﴾

أنت كنز الفضائل، ما من فضيلة فيك إلّا ويطلع الإسلام عليها
صورة الجنة، ولا رذيلة تتحاشاها إلّا والإسلام يضع عليها صورة النار
التي وقودها الناس والحجارة.

كان التاريخ واقفًا لا يتزحزح، ضيقًا لا يتسع، جامدًا لا ينمو حتى
جاء المسلم أخو الشمس يطلع بنوره كل يوم على الدنيا.

﴿أخي:﴾

أنا على يقين دائمًا أن المسلم معه الغد وآتيه، وإن أدبر عنه اليوم
وذاهبه، إن المسلم ليس رجل الأرض في الأرض، ولكنه رجل السماء في
الأرض، إنه يتسع في الزمان والمكان من حيث لا يرى ذلك أحد ولا
يعلمه، وكأنها كانت شمس فجره الآتي الذي سيتصر فيه، قبل أن تشرق
على الدنيا مشرقة في قلبه.

﴿أخي:﴾

أنت للدنيا كالمنارة على الساحل تهدي الحائرين وترشد الأدلاء.

أنت أولى الناس بقول القائل:

وحقيقتي نورٌ فإلى سابعها في لجة الظلمات والأشجان

أنا أمة فيما أريد لأمتي وولايتي دنيا من الأجيال

فاخلق لنفسك نشوة في المجد ترهب في العرين أسودا

واجعل نشيدك قول ربك لا تحف حتى يهاب البرق منك رعوداً^(١)

يا ابن الإسلام:

إن هذه الشعلة من طين، عندما تتحلى بالتوحيد والإيمان واليقين، تكتسي بجناحي الروح الأمين، وتطير بهما في العالمين.

كن عبداً لربك تكن حرّاً، قل لكل قيود الأرض: لا، لا يا قيود الأرض، فإنه لا تغني السيوف الصارمة، والعقول الراجحة في الرقّ والعبودية فتيلاً، ولا تتحطّم سلاسل العبودية وأصفاد الذل والصغار إلّا بطعم الإيمان وذوق التوحيد واليقين.

أخي:

إن البصيرة الإبراهيمية والعزة والإسلام والتوحيد لا تتأتّى بسهولة، ولا توهب مجاًناً، فكم من الأهواء تحتفي في مسارب النفس وتكوّن لها أعشاشاً وأوكاراً.

يا ابن الإسلام ويا يوسف الأحلام:

كن نعمة الأخوة الحانية، ولسان الحبّ البليغ.. انطلق للدعوة إلى الله وَعَلَّاهُ.. لا تحدك حدود، ولا تغلّك قيود، رفر بجناحيك يا طائر الحرم، وقبل أن تحلّق في الفضاء، انفض عنك غبار اللون والنسل والوطن والتراب، شقّ لك الطريق في اللياب القفار، وحطّم الجبال بسيلك العرم وتبارك، وإن اعترضتك حديقة في الطريق فناغمها بجد ولك الجميل المنساب، الذي له خريز يُسكر النفوس ويبهر الأبواب.

(١) «إقبال الشاعر الشاعر» (ص ٦٩) لنجيب الكيلاني.

علم البلبال دروس التغريد وحن التوحيد، وانفخ في الطيور
روح الخفة، وافتح أكنام الزهور والرياحين، فأنت نسيم سحر العالم،
ونفحة روضته الندية..

فدت نفسي وما ملكت يميني فوارس صدقت فيهم ظنوني
فوارس لا يملّون المنايا إذا دارت رحي الحرب الزبون^(١)

يا ابن الإسلام:

أحب شيء إلى نفسي أعزّه وجودًا وأبعده منالًا.. أبحث عن عملاق
من الرجال وبطل من الأبطال، يملأ عيني برجولته، ويروّح نفسي..
مسلم يمتاز بين أهل الشك والظن بإيمانه وبقينه، وبين أهل الجبن
والخوف بشجاعته وقوته الروحية، وبين عبّاد الرجال والأموال والأصنام
والملوك بتوحيده الخالص، وبين عبّاد الأوطان والألوان والشعوب
بأفانياته وإنسانيته، وبين عبّاد الشهوات والأهواء والمنافع بتجرّده من
الشهوات وتمرّده على موازين المجتمع الزائفة وقيم الأشياء الحقيرة، وبين
أهل الأثرة والأنانية بزهده وإيثاره وكبر نفسه، يعيش برسالته ولرسالته.

إنك أيها المسلم في العالم وحدك، وأما ما عداك فسراب خادع ودرهم
زائف.

أنت نقطة دائرة الحق، وكل ما عداك فسراب خادع ودرهم زائف.
أنت أنت لا تتغير ولا تتحول، وأما ما عداك فزبد يذهب جفاءً.
أنت الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، وما عداك

(١) لأبي الغول الطهموي. والحرب الزبون هي: التي تصدم الناس وتدمغهم.

شجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار.

بقاؤك كبقاء الشمس والكواكب النيرة؛ لأنك تحمل رسالة خالدة،
وتحتضن أمانة خالدة، وتعيش لغاية خالدة، أنت رمز لرسالات الأنبياء،
وأذانك إعلان للحقيقة التي جاء بها إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد
(صلى الله عليهم وسلم).

أنت رسالة الله الأخيرة، فلا يعترها النسخ والتبديل.

أنت موج من أمواج بحر الإسلام الخضم، يأتي موج ويذهب موج،
وتترامى الأمواج في أحضان البحر وتتلاشى في وجوده، والبحر لا يتغير؛
فالبحر امتداد دائم، كبحر الحياة وبحر الوجود، تتبدّل أمواجه ولا يتبدّل
كيانه.

إن العالم ميراث للمؤمن، لا يشاركه فيه أحد، خُلق وسُخّر له.

على الأذان الصارخ والنداء العالي، الذي ارتفع من جبل «أبو قيس»
قبل ثلاثة عشر قرناً، استيقظ هذا الكون بعد السبات العميق، وكان نفخة
صور للإنسانية الميتة والعالم المختصر، وهو الكفيل الآن بإيقاظ الإنسانية
وإحياء الضمير البشري.

إن المؤمن إذا نادى في الآفاق بأذانه، أشرق العالم واستيقظ الكون.

إن الفجر الذي سيهتز له هذا العالم المظلم ويُولي به ليل الإنسانية
الحالك إنما ينشأ بأذان المؤمن.

إن المسلم حقيقة عالمية لا تنحصر بين حدود الجنسية والوطنية
الضيقة، بل تتخطى حدود المكان والزمان، وتفيض كالطبيعة البشرية،
وكالإنسانية العامة، في مساحة زمانية شاسعة، كمساحة التاريخ

الإسلامي، وفي مساحة مكانية واسعة كمساحة العالم الإسلامي.

✍ إن المسلم لا تعرف أرضه الحدود، ولا يعرف أفقه الشغور، ليس النيل والفرات وسيحون وجيحون إلا أمواجًا صغيرة في بحره المتلاطم. عصوره عجيبة وأخباره غريبة، نسخ العهد القديم، وغير مجرى التاريخ. هو في كل عصر ساقى أهل الذوق، وفي كل مكان فارس ميدان الشوق، شرابه رحيق دائماً، وسيفه ماضٍ في كل معركة.

✍ إن المؤمن هو الميزان العادل، والقسطاس المستقيم، به يُعلم رضا الله وسخطه، وبه يعرف الحسن من القبيح، فما راق في نظره فهو حسن، وما استقبحه فهو طائش، وفي عزائمه تتجلى الإرادة القوية، وهو الدين يسعى على قدميه، هو صاحب معان كثيرة، وشدو واحد، فهو كسورة الرحمن في القرآن، تتجدد معانيه وتكرر فيه آية: ﴿فَيَأْتِيْءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣]، ينير ظلمات كل عصر بنوره وضيائه، ويكرر رسالة الأنبياء، ويقول لكل جيل: ﴿يَقُومُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥].

✍ هو كالصبح جديد وقديم، فهو في جدته ليس أجَدَّ منه، وهو في قَدَمه ليس شيء أقدم منه؛ هو قديم لكنه يتجدد به العالم، وتتجدد به الكائنات، وتتعش به القوى، وتستيقظ به الأجسام والقلوب والعقول؛ ثم هو جديد بنفسه، تتجدد قواه ويتجدد نشاطه، وتفتح قريحته مع العصور، علمه سيّار، وعقله مبتكر، ونفسه طموح، وهَمَّتْه وثّابة، وهو كالمنطر كل قطرة غير الأولى، ولكنها قطرات، كلها تحيي الأرض، وكلها تنبت النبات، وكلها تسقي الزروع والأشجار، وكلها تفتح الأزهار،

وكلها تكوّن الأنهار.

• قال رسول الله ﷺ: «مثل أمتي مثل المطر...».

عجباً لك أيها المسلم! تجلّت لك الآفاق، وغابت عنك نفسك؟ إلى متى تظل غافلاً جاهلاً؟ وتجلس ضائعاً عاطلاً، إن نورك الوهاج أنار العالم القديم، ونسخ الليل البهيم، ولا تزال اليد البيضاء التي ورثتها عن موسى في كمّك، تتخطى حدود الآفاق الضيقة، فأنت السابق لها والفائق عليها، هل تخاف الموت؟ لقد كان جديراً بالموت أن يخافك، فأنت تكمن له وترصد به.

اعلم يقيناً، أن الكريم إذا وهب شيئاً لا يسلبه ولا يسترده، وليس حتف ابن آدم في فراق الروح، إنما حتفه في ضعف الإيمان والحرمان من اليقين.

❦ أخي:

افتح عينيك أيها الزهر النائم مثل النرجس الذي لا يطبق عينيه لحظة، ولا يعرف الكرى إليه سبيلاً، لقد أغار على وكرنا الأعداء، ونهبوا كل ما فيه من كنوز وخيرات، ألا يكفي هدير الحمام، وصفير الأذان، وأنين القلوب والأرواح، وبكاء الشكالي واليتامى، وصراخ السبايا أن يوقظك؟! انتبه من هذا السبات العميق، الذي طال أمده واشتدت وطأته.

لقد بدأت الشمس رحلتها المباركة، وارتفع عمود الصباح المنير في بحر الظلمات، وحزمت القوافل في الجبال والصحاري أمتعتها، وضُرب نفير الرحيل، فما لك أيتها العين الساهرة! التي خلقت لمراقبة الإنسانية، وحراسة الضعفاء تنامين؟

يا ابن الإسلام:

لقد أصبح بحرك هادئًا ساكنًا كالصحراء، لقد فقد طبيعته، فلا مدّ فيه ولا جزر، عجبًا لهذا البحر الذي لا يهيج ولا يموج، وليس فيه تمساح طموح مغامر، ولا موج ناثر عارم!.

أقفز من حدودك الضيقة الهادئة لتفيض على البراري والقفار والنجاد والأغوار.

بك قوام العالم وبقاء الأمم، فاشرب كأسًا فائضة من اليقين، وانفض من حضيض الظن والتخمين.

يا ابن الإسلام:

الغياث من الإفرنج الذين خلبوا العقول، وسحروا النفوس، الغياث من هؤلاء الذين خدعوا مرّة بالركة والدلال، ومرّة بالقيود والأغلال.

إن الذي عرف نفسه وعرف قيمته لا يليق به إلا عروش الملوك وأسرة السلاطين، إنه لا حياة لك ولا قوام، ولا شرف ولا كرامة إلا بهذه المعرفة، فإذا ملكتها ملكت العالم، وإذا فقدتها أصبحت من سقط المتاع.

يا يوسف هذه الأحلام:

إن كل ما في العالم من الظواهر الكونية، أو الأجرام الفلكية، راحل زائل، وغائب آفل، وأنت أيها المسلم بطل المعركة، وكل ما حولك من سافل وعالٍ، ورخيص وغالٍ، من جنودك وأتباعك.

أخي:

يا وارث التوحيد يا أنا! هل أصبحت كسائر الناس لا تحمل روحًا ولا تجذب نفوسًا؟

إن السجدة التي كانت تهتز لها روح الأرض، طال عهد المحراب بها، واشتاق إليها المسجد كما تشتاق الأرض الجديية الخاشعة إلى المطر؛ لم أسمع ذلك الأذان الذي ارتعشت له الجبال الأمس. لم أر في محيطك أيها المسلم لأولوة الحياة، قد بحثت عنها موجة موجة، وتفقدها صدفة صدفة.

❦ أخي:

إذا رأيت النجوم شاحبة منكدرة تخفق، فاعلم أن الفجر قريب، ها هي الشمس قد ذرّ قرنهما من الأفق، وولى الليل على أدباره، إن عاصفة الغرب على الإسلام قد أعادت المسلم إلى الإسلام، فإنما تتكون اللآلئ في البحر المتلاطم الهائج، لقد دب ديبب الحياة في المسلم، وجرى الدم في عروقه.

❦ يا حُرّاس الدين وأمناء الله في العالمين، يا من لو أقسمتم على الله لأبركم، إذا تألق نجمكم في آفاق السماء أفلت نجوم الآخرين، وطوي بساطهم، لن تسعكم الصحراء والفيافي. فاضربوا خيمتكم في وجودكم الذي يسع الآفاق، كونوا أسرع من العاصفة وأقوى من السيل، حتى تسرع ركائبكم في مضمار الحياة وتسبق الريح.

امتلکوا ناصية الأيام، خذوا عنان التاريخ، وقودوا قافلة البشرية إلى الغاية المثلى.

من الذين أكرمهم الله بالسبق إلى قراءة القرآن سواكم؟! من الذي دوى أذانه في العالمين غيركم؟! هل العلم إلا فتات مائدتكم، وهل قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] إلا وصف حالكم؟!.

مرّ الإسلام على صحرائكم فأنبئت الأزهار والرياحين، صهيل خيل
أبي سليمان خالد بن الوليد، وسيف صلاح الدين، ونظرة الزاهد الأواب
بشر بن الحارث، وذكر الفضيل بن عياض، وفكر ابن تيمية، ودويّ
التكبير والصلوات، وزمزمة جَلَبَة الحروب والفتوح بين الخافقين.

﴿أخي:﴾

إني أرى في مرآة المستقبل عصرًا لا يزال في طيّات الغيب، قد بدت
تباشيره، وظهرت طلائعه لعيني، ولكنها لا تزال محجوبة عن أعين
الناس، لو كُشف الغطاء عن وجه هذا الفجر المرتقب، لشقّ ذلك على
أوروبا، وفقدت رشدًا وجنّ جنونها، هذا الفجر سيوقظ العقول، ويهزّ
النفوس، ويزهر الآمال في الصدور، قد آن أن تشرق الأرض بنور ربها،
ويعيش العالم من جديد.

يا ابن الإسلام:

أنت البغية المنشودة، وبحرك زاحر بالدرر والآلئ.

﴿أخي:﴾

لا تربط نفسك وقلبك بالتراب، والحمم المسنون، والحجارة والقرميد.
إن الصقور لا تستريح ولا تهدأ في الأوكار.

أتموي من القمة العالية، وتهبط من تلك العلياء التي رفعك إليها
الإسلام؟! أصبحت لطول عهدك بالفتوحات لا تفهم لغة الصهيل
والسيوف، وإهابة الشجعان المجاهدين، ألفت نغمة المغنين، وعشت بين
الآهات والزفرات والأنين، فقدت عينك النور، وحرمت قلبك لذة
السرور.

يا يوسف هذه الأحلام:

جَدّد فيك الإيمان واليقين، فقد عراك الظن والتخمين، إن مقامك
ومنزلك وراء هذه القبة الزرقاء والسماءات العلى، وإن رَكْبِكَ يمشي فوق
النجوم النيرة والكواكب المتلألئة.

يا ابن الإسلام:

أنت وحدك تملك الآماد والأبعاد، أنت رسالة الله الأخيرة، وأنت
خالد بخلود رسالتك، دائم بدوام دورك ومهمتك.
هـ أخي:

إن ما حملته النبوة من تحفة غالية وهدية ثمينة، من عالم الماء والتراب
إلى عالم الجنان والخلود الذي لا يزول ولا يحول، إنما هي أنت، وقد
انكشف هذا السر الدقيق بماضي الأمة الحنيفية والملة السمحة البيضاء،
أنت متصل النسب المعنوي بأبيك إبراهيم، خلقت لتحيا مع الله في جواره
في فردوسه في دارِ غَرْسٍ غَرْسها الرحمن بيده.

إلى متى تتمتع برفقة الطيور المغردة في الحديقة الفيحاء بين الأغصان
الرطبة البليلة، أليس بجناحيك قوة طيران الصقور المحلقة في الفضاء،
التي تنشئ أوكارها في الجبال الجرداء السماء.

هـ أخي:

ما أعذب هذه الكلمات على شفّيتك:

أنا مسلم والنور ينبض في دمي	ولسان كل المكرمات لساني
أنا مسلم والشمس تألف هامتي	والسائرون بدربها إخواني

يا يوسف هذه الأحلام:

أنت وحدك من يعي ويفهم قول الصادق الأمين ﷺ: «إنما الناس كإبل مئة لا تكاد تجد فيها راحلة»^(١).

أردد قولك وأسطره في فهمك للحديث: «إنما قال: الناس كإبل مئة»، ولم يقل: «الدعاة كإبل مئة» بل نحن الرواحل كلنا فاقترح فأنت لها..

قد غرسنا الدين في أرض القلوب	وجلونا الحق من ستر الغيوب
ومن الدنيا حللنا العقدا	واستنار التُّرب منا سجدا
من دنان الحق صرّفنا الرحيق	وهدمنا حانة الكفر العتيق
كأسنا كانت سراج المحفل	صدرنا كان لقلب مشعل
إن هذا العصر من آثارنا	من عجاج ثار في تسيارنا
نحن وراث هداة للبشر	نحن عند الحق سرٌّ مدّخر
لا تزال الشمس تُبدي نورنا	غيمنا فيه بروقٌ وسنا ^(٢)

أخي: ألا تشناق لحمل راية الإسلام في فجره الآتي:

يا راية بالنور خافقة	يهفو إليك السمع والبصر
هيا.. فإن الدهر مُرْتَقِبٌ	ومواكب التاريخ تنتظر



(١) أخرجه البخاري، ومسلم، وأحمد، والترمذي وابن ماجه، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) من كتاب «تأملات» لمحمد إقبال - ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام.

يا يوسف الأحلام:

أخي إن فجرك آتٍ،..

وصبحك يركض نحو بلادٍ

يُعشعش في قلبها العنكبوتُ

الضياء الذي في فؤادك يَسهلُ..

والليل ليلٌ مقيتٌ

وهل أنت إلا جوادٌ يخبُ..

وسيفٌ مجرّدٌ؟

فهل نفروا مثلما قد نفرتَ..؟

وهل شهدوا مثلما.. أنت مُشهدٌ؟

وهل عرفوا لغة السيف يا بئى المذلة..

يا سيفنا المشرّب الذي..

ليس يُغمدُ؟

وها أنت طاولت كل النجوم..

وها هم عبيد القروء

وها هم وطاءٌ لكل مشرّد

تساميت كالأقحوان..

وأرهفت.. والكل جَلُمَدُ

فهُم كالحجارة.. لا حسّ فيها

ولكنك الآن نَبْعٌ تَوَلَّدُ

وهل أنت إلا كتابٌ..

سيقروه القادمون حروفاً تُغرَّد؟

وهل أنت إلا الثباتُ الأبديُّ..؟

وهل أنت إلا التجرّد

وهل أنت إلا الزمان التقيُّ

يخاطبنا عبر هذي التقيُّ

يخاطبنا عبر هذي الفيافي

فنصحو ونسعدُ؟

ويدمغ من يذبحون الرجولة فينا

ويدحض من يفقدون اليقين المؤكد

وصوتك يا حَبِئنا

منذ حلّ المساء..

وأوغل هذا الظلام المعربدُ

وعادت خفافيشه تترصدُ

يسافرُ في زمرة القابضين

على الجمر.. والجمرُ موقدُ

فلا تبتئس،

إنّ فينا من الذكر آيا

نصبرُنا في التهجدُ

وفينا من القبس النبويّ..

مشاعل ضوء تبث اليقين.. بأرواحنا
في زمان التردُّد^(١).



(١) من قصيدة: «لأنك لا تعرف العيش إلَّا حُسَامًا» من ديوان «الجواد المهاجر» لطاهر العتباني (ص ٢١ - ٣٠).

الخاتمة

الخاتمة

﴿أخي، لتكنْ لك همةٌ تنطحُ الشَّريَّا.

«إذا أُعطي العبدُ همةٌ كبرى؛ ارتحلتْ به في دروبِ الفضائلِ، وصعدتْ به في درجاتِ المعالي.

ومن سَجَايا الإسلامِ التحلِّي بِكِبَرِ الهمةِ وجلالةِ المقصودِ، وسموُّ الهدفِ وعظمةِ الغايةِ.

فالهمةُ هي مركزُ السَّالِبِ والموجبِ في شخصِكَ، الرقيبُ على جوارحك، وهي الوقودُ الحِشِّي والطاقةُ الملتهبةُ، التي تمدُّ صاحبها بالوثوبِ إلى المعالي، والمسابقةُ إلى المحامدِ. وكِبَرُ الهمةِ يجلبُ لك -بإذنِ الله- خيرًا غيرَ مجذوذٍ؛ لترقى إلى درجاتِ الكمالِ، فيُجري في عروقِكَ دمُ الشهامةِ، والركُضُ في ميدانِ العلمِ والعملِ، فلا يراك الناسُ واقفًا إلَّا على أبوابِ الفضائلِ، ولا باسطًا يديكَ إلَّا لمهماتِ الأمورِ، تُنافس الروَّادَ في الفضائلِ، وتزاحمُ السَّادةَ في المزايا، لا ترضى بالدُّونِ، ولا تقفُ في الأخيرِ، ولا تقبلُ بالأقلِّ.

والتحلِّيُ بالهمةِ؛ بها يُسَلَبُ منك سَفَاسِفُ الآمالِ والأعمالِ، ويُحْتَتُّ منك شجرةُ الذلِّ والهوانِ، والتملُّقُ والمداهنةُ.

فكبيرُ الهمةِ ثابتُ الجأسِ لا ترهبُهُ المواقِفُ، وفاقدُها جبانٌ رِعْدِيدٌ، تُغْلِقُ فَمَهُ الفهاهةُ.

ولا تغلُطُ فتخلُطُ بين كِبَرِ الهمةِ والكِبَرِ؛ فإنَّ بينهما من الفرقِ كما بين السماءِ ذاتِ الرَّجْعِ والأرضِ ذاتِ الصَّدْعِ، فكِبَرُ الهمةِ تاجٌ على مَفْرِقِ القلبِ الحرِّ المثالي، يسعى به دائِمًا وأبدًا إلى الطُّهرِ والقداسةِ والزيادةِ

والفضل، فكبيرُ الهمةِ يتلَمَّظ على ما فاتته من محاسن، ويتحسّر على ما فقدّه من مآثر، فهو في حنينٍ مستمرٍّ، ونهمٍ دؤوبٍ، للوصولِ إلى الغايةِ والنهايةِ. كِبَرُ الهمةِ حِلْيَةُ ورثةِ الأنبياءِ، والكِبَرُ داءُ المرضى بعِلَّةِ الجبابةِ البؤساءِ. فكِبَرُ الهمةِ تصعدُ بصاحبها أبداً إلى الرُفِّي، والكِبَرُ يهبطُ به دائماً إلى الخَضِيضِ.

فيا طالبَ العلمِ، ارسُمْ لنفسِكَ كِبَرِ الهمةِ، ولا تنفَلْتُ منها، وقد أَمَّا الشرعُ إليها في فقهيَّاتٍ تلابِسُ حياتك؛ لتكونَ دائماً على يقظةٍ من اغتنامها، ومنها: إباحةُ التيمُّمِ للتكَلَّفِ عند فقدِ الماءِ، وعدمُ إلزامِهِ بقبولِ هِبَةِ ثمنِ الماءِ للوضوءِ؛ لما في ذلك من المِنَّةِ التي تنالُ من الهمةِ منالاً.. وعلى هذا فقس..

هممٌ كأنَّ الشَّمْسَ تخطُبُ وُدَّها والبدرَ يرسمُ في سَناها أحرفاً

فاللهَ اللهُ في الاهتمامِ بالهمةِ، وسلَّ سيفها في غمراتِ الحياةِ..
هوَ الجدُّ حتَّى تفضُلَ العَيْنُ أختها وحتَّى يكونَ اليومُ لليومِ سيِّداً^(١)

يا بنِ الإسلامِ.. ويا عاليِ الهمةِ:
فأطْلِقْ لروحِكَ إشراقها تَرِ الفجرَ يرمقنا من بعيد
وقلْ لكلِّ حاقدٍ صليبيٍّ أو يهوديٍّ أو علمانيٍّ - : أخساً؛ فلنْ تعدو
قدْرَكَ..

لا تهيئْ كَفَنِي يا عاذلي فأنا لي مع الفجرِ موثيقٌ وعهدُ
واهْدِرْ بصوتِكَ مجلجلاً يُصمُّ آذانهم:

(١) «لا تحزن» لعائض القرنبي (ص ٢٨٦ - ٢٨٧).

أناضِلُ عن دينٍ عظيمٍ وهبُهُ
وُمَثِّلُ لله أَسْلَمَ وجهَهُ
بظَهري بِيْطْنِي بِالذَّرَاعِ بِمَقْلَتِي
تَأَخَّرْتُ دَهْرًا بِاللَّذَائِدِ وَالْمُنَى
فَلَمْ أَرِ يَوْمًا كَالْتَقَدُّمِ لَذَّةٍ
عَلَى ذُرْوَةِ التَّوْحِيدِ تَخَفُّقُ رَايَتِي

وعلى الذرا.. ومنازل الدنيا؛ ردّد للكون نداءك: «ليبلغنّ هذا الأمرُ
ما بلغَ الليل والنهار»..

إلى الجدرانِ شُدُونِي	لإسلامي ولو حتّى
إلى النيرانِ زُفُونِي	لإسلامي ولو حتّى
ولو في السُّوقِ باعُونِي	لإسلامي لإسلامي
له عِرْقِي وتكويني	وإسلامي له نبضي
تُعَايِشُنِي تَغْذِيَنِي	وثاراتُ لإسلامي
وتنبّضُ في شراييني	تبثُّ النورَ في رُوحِي

✽ أخي:

قد أطلتُ عليك.. وأسهبْتُ في بعضِ المواطنِ واستطردتُ، ولعلَّ لي
عذري.. وتركتُ فُصُولًا أخرى لطبعاتٍ تالية..

✽ أخي القارئ:

هذا جَمْعِي، لك غُنْمُهُ وَعَلَيَّ غُرْمُهُ، لك ثمرته وَعَلَيَّ تبعته؛ فما
وجدتَ فيه من صوابٍ وحقٍّ فاقبله ولا تلتفتْ إلى قائله، وما وجدتَ فيه

من خطأ فإنَّ قائله لم يأل جهدَ الإصابة، ويعلمُ الله أن أخذض من لحمي ودمي، ويأبى الله إلَّا، تفرَّد بالكمال، كما قيل:

والنقصُ في أصلِ الطبيعةِ كامنٌ فبنو الطبيعةِ نقصُهم لا يُجحدُ

وكيف يُعصم من الخطأ من خلق ظلومًا جهولًا؟؟!

ومن الفألِ الحسن لهذا الكتاب - وأسألُ الله بكرمه أني ضع له القبولُ في الأرضِ - أن أكتبَ مقدِّمته في الرِّوضةِ النبويَّةِ بالمسجدِ النبويِّ، وأن أختمه والله الحمدِ وأضعُ القلمَ فراغًا منه لأذهبَ لأفضلِ الصَّلوات؛ قال رسول الله ﷺ: «أفضلُ الصَّلواتِ عندَ الله صَلَاةُ الصُّبْحِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي جَمَاعَةٍ»^(١).

✎ وأختمُ كتابي بهذا الدعاءِ علَّه يناسبُ «علوَّ الهمة».

□ اللَّهُمَّ يَا وَارِثَ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَيَا بَاعِثَ جَمِيعٍ مِّنْ فِيهَا، وَرَّثَ أَمَلِي فِيكَ مَنِي أَمَلِي، وَبَلِّغْ هَمِّي فِيكَ مُنْتَهَى وَسَائِلِي.

□ اللَّهُمَّ مَتِّعْ أَبْصَارَنَا بِالْجَوَلَانِ فِي جِلَالِكَ، وَسَهِّرْنَا عَمَّا نَامَتْ عَنْهُ عُيُونُ الْغَافِلِينَ.

□ اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ لَخْدِمَتِكَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ لَهُمْ طُلَّابًا، وَلِخَصَائِصِ أَصْفِيائِكَ أَصْحَابًا، وَلِلْمَعْتَكِفِينَ بِيَابِكَ أَحْبَابًا.

□ اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ بَذَلُوا الْمَجْهُودَ فِي طَلَبِ مَرْضَاتِكَ، وَانصرفتُ عن خَلْقِكَ إِلَيْكَ هُمُومُهُمْ، وَأَنِسْتُ وَطَابَتْ بِالْخُلُوةِ فِيكَ نَفْسُهُمْ، وَلَا يَسْعَوْنَ

(١) صحيح: رواه أبو نعيم في «الحلية»، والبيهقي في الشعب عن ابن عمر، وصحَّحه الألباني في «الصحيح» رقم (٥٦٦).

في طاعتك إِلَّا رَكُضًا.

□ اللَّهُمَّ سُقْنَا إِلَى أَقْصَىٰ مَرَادِكَ دَرَجَةً دَرَجَةً، وَاسْلُكْ بِنَا مَنَازِلَ أَصْفِيَاكَ مَنَزَلَةً مَنَزَلَةً، وَاكْشِفْ لَنَا عَنْ مَكْنُونِ عِلْمِكَ حِجَابًا حِجَابًا حَتَّى نَنْتَزِعَهُ فِي بَسَاتِينِ نَشْرِ آلَاكَ، وَنَرْتَوِي مِنْ غَدْرَانِ ذِكْرِ نِعْمَاتِكَ.. اِرْجُدْ أَبْصَارَنَا وَبَصَائِرَنَا بِطَرَفِ الْفَوَائِدِ، وَامْدُدْهَا بِتُخَفِ الزَّوَائِدِ، وَاجْعَلِ الْعَيُونَ مَنَافِيزًا بِالْعِبَرَاتِ، وَالصُّدُورَ مَنَافِيزًا مَشْحُورَةً بِالْحَرَقَاتِ.

□ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْكَ مَا هُوَ لَكَ، وَأَسْتَعِيدُكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يُسْخِطُكَ.

□ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ صَفَاءِ الصَّفَاءِ صَفَاءً أَنَالُ بِهِ مِنْكَ شَرَفَ الْعَطَاءِ.

□ اللَّهُمَّ وَلَا تَشْغَلْنِي شُغْلَ مَنْ شَغَلَهُ عَنْكَ مَا أَرَادَ مِنْكَ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكَ.

□ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِمَّنْ يَذْكُرُكَ ذِكْرًا مِنْ لَا يَرِيدُ بِذِكْرِهِ مِنْكَ إِلَّا مَا هُوَ لَكَ.

□ اللَّهُمَّ اجْعَلْ غَايَةَ قَصْدِي إِلَيْكَ مَا أَطْلَبُهُ مِنْكَ.

□ اللَّهُمَّ اْمَلَأْ قَلْبِي بِكَ فَرْحًا، وَلِسَانِي لَكَ ذِكْرًا، وَجَوَارِحِي بِمَا يُرْضِيكَ شُغْلًا.

□ اللَّهُمَّ اْمَحْ عَنْ قَلْبِي كُلَّ ذِكْرٍ إِلَّا ذِكْرَكَ، وَكُلَّ حُبٍّ إِلَّا حُبَّكَ، وَكُلَّ وَدٍّ إِلَّا وَدَّكَ، وَكُلَّ إِجْلَالٍ إِلَّا إِجْلَالَكَ، وَكُلَّ تَعْظِيمٍ إِلَّا تَعْظِيمَكَ.

□ اللَّهُمَّ اجْعَلْ سُؤَالِي لَكَ سُؤَالَ مُحَابَّكَ، وَلَا تَجْعَلْنِي مِمَّنْ يَتَعَمَّدُ بِسُؤَالِهِ مَوَاضِعَ الْحُظُوظِ، بَلْ يَسْأَلُ الْقِيَامَ بِوَاجِبِ حَقِّكَ.

□ اللَّهُمَّ اعْصِمْنَا فِيمَا بَقِيَ مِنَ الْأَعْمَارِ إِلَى مَتْنِ الْآجَالِ، عِصْمَةً دَائِمَةً كَامِلَةً تَامَّةً، وَكِرَّةً إِلَيْنَا كُلِّ الَّذِي تَكْرَهُ، وَحُبًّا إِلَيْنَا كُلِّ الَّذِي تَرْضَاهُ

وتحبُّه، واستعملنا به على النحو الذي تحبُّ، وأدِم ذلك لنا إلى أن تتوفَّانا عليه، أكَّد على ذلك عزائِمنا، واشدَّد على ذلك نيَّاتنا، وأصلح لها سرائِرنا، وابعث لها جوارِحنا، وكن وليَّ توفيقنا وزيادتنا وكفائتنا.

□ اللَّهُمَّ هبْ لنا ما وهبتَ لصفوتِكَ وأوليائك وأهل طاعتِكَ من دائمِ الذِّكْرِ لك، وخالصِ العملِ لوجهِكَ، على أكمله وأدومه، وأصفاه وأحبه غليك، وأعنا على الفعلِ بذلك إلى مُنتهى الآجال.

• «اللَّهُمَّ اجعلْ في قلبي نورًا، وفي لِساني نورًا، وفي بَصْري نورًا، وفي سمعي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن يساري نورًا، ومن فوقِي نورًا، ومتى تحتي نورًا، ومن أمامي نورًا، ومن خلفي نورًا، واجعل لي في نفسي نورًا، وأعظم لي نورًا»^(١).

﴿ وأخيرًا وليس آخرًا إلى إخواني القراء:

أنشدُ اللهَ مَنْ قرأَ هذا الكتابَ وانتفعَ به، أن يسألَ اللهَ سبحانه أن يجعلني من العلماءِ الربانيِّين، وأن يرزقني شهادةً في سبيله، وموتًا في بلدِ رسوله ﷺ، وأن يُمِنَّ علي بكتابة تفسير كامل للقرآن الكريم بعنوان «الكوثر الجاري في تفسير كلام الودود الباري» اللهم رُدَّ إليَّ عبد الله وسما رداً كريماً طيباً مباركاً فيه.

﴿ كما أنشدُكم اللهَ أن تدعوا لبناتي [سمية وفاطمة وسما] بالصلاح والفلاح والطهر والعفاف، وأن يجعلهنَّ اللهُ من القانتاتِ التائباتِ العابداتِ، الحافظاتِ للغيبِ بها حفظَ الله.

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي عن ابن عباس.

﴿ وأن يبارك في وَلَدَيَّ أبي الفداء سيف الإسلام عبد الله، وأحمد ياسين، وأن يجعلهما من كبار علماء المسلمين العاملين، وأن يجمع بينهما في الدنيا ولا يفرق بينهما، وأن يرزقهما أفضل من الشهادة في سبيله. ﴾
 ﴿ تمّ الكتاب بفضل من الله و«نعمة» فالحمدُ لله نهايةً لا تزال تبدأ وبدءٌ لا ينتهي. ﴾



وكتبه حامداً ومُصلياً

الفقيرُ إلى رحمة ربه

السيد بن حسين العفاني^(١)

جمهورية مصر العربية - محافظة بني سويف - مركز بني سويف، قرية بني عفان

صندوق بريد رقم [١٢٣]

الدكتور: السيد بن حسين بن عبد الله

(١) لمن أراد أن يرأسني لمعرفة رأيه في الكتاب؛ فرحم الله أمراً أهدي إلي عيوبي.